ويعقد الحافظ هنا مقارنة بين الماركسية الفيتنامية والماركسية العربية حيث الاولى بدأت من منطلق قومي وانتشرت في بيئة اكثروية ، بينما الثانية بدأت من منطلق « طبقي » وانتشرت في بيئة اقلوية · ويعدد بعد ذلك عوامل نمو الماركسية الفيتنامية وتخلف الماركسية العربية حيث يرى ان الاولى قومية تؤدي الى اممية واقعية بينما الثانية قطرية ـ اممية تجديدية تؤدي الى عدمية قومية ، وان الاولى لم تنتظر الثورة في بلاد المتروبول بينما الثانية انتظرت تلك الثورة ، وان الاولى توحيدية لا تقر التجزئة الاستعمارية بينما الثانية تجزيئية تقر بالتقسيمات ، وان الاولى ربطت الوحدة بالاستقلال بينما الثانية فصلت الوحدة القومية عن الاستقلال الوطني ، وان في الاولى المسألة القومية ليست مضافة من الخارج الى المسألة الاشتراكية بينما في الثانية فهي كذلك في احسن الاحوال ، وفي الاولى توحدت القومية بالشيوعية اما في الثانية فقد انفصلت القضيتان ، وفي الاولى كانت الحركة الشيوعية منفتحة ـ جبهوية اما في الثانية فكانت عصوبية ـ انغلاقية ، وفي الاولى لم تخلط بين المبدأ والتكتيك بينما الثانية خلطت ، وان زعامة الاولى تكونت في العصر اللينيني بينما زعامة الثانية تكونت في العصر الستاليني ·

هذه المقارنة القاطعة والواضحة تحدد بالضبط موقع ياسين الحافظ وخطه الماركسي العربي في مواجهة الحركة القومية العربية التقليدية والحركة الشيوعية العربية التقليدوية · فاذا كان الكاتب له جملة مواقف نقدية من التيارات الماركسية العربية في معالجتها لمشكلات التأخر العربي والاقليات الطائفية القومية فان له ايضا بعض المواقف النقدية للفكر القومي العربي ونزعته الرومانسية الثورية من جهة واتجاهه الواقعي المحافظ من جهة اخرى · لذلك يعتبر الحافظ ان للوعي الفكري والايديولوجي دوره الاساسي في بلورة المفاهيم وفهم الواقع اذ « في فيتنام امثلكت الانتلجنتسيا الفيتنامية فكرا عصريا وتقدميا ، اما الانتلجنتسيا العربية فبقيت مخندقة في وعي مفوت وتقليدي » (ص : ١٥٥) بينما « اثبتت الانتلجنتسيا الفيتنامية الحديثة ان الممارسة الثورية الناجعة هي الممارسة العالمة ، العارفة ، الواعية : الاستعمال الحصيف لسلاح النقد يسبق ويحضر للاستعمال المجدي لنقد السلاح » (ص : ١٦١) · واذ في حين كان العقلاني « ينمو وينضج ثم يغلب في الوعي التاريخي للشعب الفيتنامي فيمنحه رؤية مناسبة ، اي مطابقة للواقع ولحاجات تقدمه ، بقي الايديولوجي مهيمنا على الوعي التاريخي للشعب العربي » (ص : ١٦٢) · والكاتب يرى ان اساس قصورنا وتناثرنا القومي يعود الى مرحلة ما قبل المرحلة الكولونيالية ، وبان الاستعمار نتيجة لا سبب ، وبان الغرب ليس تكنولوجيا فقط بل انه ثقافة حديثة وميزات المجتمع الصناعي وسيرورة التطور التاريخي (ص : ١٨٠ ـ ١٨٤) ·

لذلك فان هشاشة التجربة العربية وعجزها ليس سببها ضربات خارجية فقط وانما تتمثل في واقع « ان التطور الفكري والثقافي كان اكثر تأخرا وحركته اكثر بطئا من التطور التقني والاقتصادي ، على تواضعه » (ص : ١٨٥) ·

ويخلص الحافظ في كتابه القيم وتقييمه النقدي المقارن للتجربتين العربية والفيتنامية الى القول : « ان الاتساق